

اللفة المالطية لهجة عربية

كتبت بحروف لاتينية

الأستاذ / إحسان محمد جعفر

نقال له :

«جارية ترمى الصنج» بها القلوب تبتهج
كان من أحكمها إلى السماء قد عرج
وطالع الانلاك عن سر البروج والدرج

غير انه في اواخر القرن الخامس الهجرى « 1072 م — 1091 م » نجح (روجر) النورماندى فى الاستيلاء على مالطة بعد ان انتزع صقلية من العرب المسلمين، لكن النورماندين لم يحاربوا اللغة العربية التى بقيت لفترة طويلة حية . لذلك يرى بعض علماء اللغات ان اللغة المالطية مشتقة من لهجة العامية فى المغرب العربى، بينما يرى آخرون انها تمت بصلة وشيجة الى اللغة البونية ، وممن قال بهذا الراى «ويليام ولكس» الذى نشر سنة 1926 كتابا بالانكليزية جعل عنوانه «سورية ومصر وشمال افريقيا ومالطة تتكلم البونية لا العربية» . غير ان « اسرائيل ولفنستون » فى كتابه « تاريخ اللغات السامية » يؤكد اصلها العربى

وقد احيطت هذه اللغة بظروف تختلف كل الاختلاف عن الظروف التى احاطت بسائر اللهجات العربية الاخرى فسلكت فى تطورها طريقا

تخاطب سكان جزيرة مالطة والجزر الملحقة بها غودش وكومينو وكومينوتو (335 ألف نسمة) فى العصور القديمة واوائل العصور الوسطى بلغات عديدة لعل من اشهرها الفينيقيّة والبونية «القرطاجية»، وآخر لفة سامية انتقلت اليها كانت هى اللغة العربية متمثلة فى لهجة من اللهجات العامية المغربية السائدة فى شمال افريقيا ، وذلك عندما استولى عليها صاحب افريقيا « تونس » ابو الغرائيق محمد بن الاغلب سنة 255 هـ .

وما يشعر بانتشار اللغة العربية وآدابها فى (مالطة) لعهد الاغلبة ما نجده فى تضاعيف بعض المصادر العربية وما أورده المؤرخون ، ومن ذلك الحكاية التالية التى تدل على مدى ازدهار الشعر العربى فى تلك الجزيرة اذ ان ملك مالطة العربى منع له بعض مهندسى بلده تمثال جارية يتعرف بها اوقات الصلاة ، وكانت ترمى بينادق على الصنج «تصاع لعبد الله بن السمنطى المالطى ، وكانت له براعة فى الآبنوس» ، فقال ابو القاسم بن رمضان احد شعرائها، لعبد الله بن السمنطى المالطى ، وكانت له براعة فى صناعة الشعر ، اجز هذا المصراع :

يختلف كل الاختلاف عن طريق أخواتها ، ويرجع سبب ذلك الى انعزالها عن الوطن العربي وانتشارها في قطر مسيحي وكثرة احتكاكها باللغة الإيطالية المجاورة لها ، وخضوع مالطة لحكم الإنكليز وقتا طويلا ، ولا قرآن يرجع المالطيون بها اليه ، ولا معجمات يصححون الفاظها عليه ، فأصبحت رطانة مشوهة بما دخل عليها من التحريف والتبديل ، وتأثرت بالعديد من اللغات الأوروبية كالفرنسية والألمانية فضلا عن الإيطالية ، فانتقلت اليها مفردات كثيرة من هذه اللغات وأصبحت خليطا بنسبة التسعة أعشار من الفاظها من العربية والعشر الباقى من اللغة الإيطالية وعلى الأخص اللهجة الصقلية وباقى اللغات المذكورة ، فتألف من مجموع ذلك (برج بابل) حقيقى من اللغات حتى أن الكلمة الواحدة تتألف أحيانا من أصلين أحدهما عربى والآخر مستعار من إحدى اللغات الأوروبية ، ومن ذلك على سبيل المثال كلمة «ليبرانا» أى نجنا وخلصنا ، فهى مؤلفة من الفعل الفرنسى Libérer بمعنى حرر أو خلص ، والضمير العربى لجماعة المتكلمين «نا» .

ولا تزال اللغة المالطية على الرغم من ذلك تحتفظ بكثير من خصائص اللهجات المغربية كإمالة الألف المتوسطة فى معظم الكلمات ، غير أن أحمد فارس الشدياق يرى فى الفصل الذى تحدث فيه عن لغة مالطة فى كتابه «الواسطة فى أحوال مالطة» أن فى كتابه «الواسطة فى أحوال مالطة» أن فى المالطية عبارات عربية دينية تمت بصلة الى لهجة المشرقية مما لا يفهمه أهل المغرب .

والمالطيون يلفظون الفين أينما وقعت عينا والخاء حاء ، والفلاحون منهم يلفظون القاف همزة ويشمون الألف فى نحو قال وباع الضمة ، وينطقون بالضاد دالا وبالطاء تاء ، ولا يلفظون العين إذا كانت متطرفة أصلا فيقولون «تلا» أى طلع و «سما» أى سمع ، ويقال أنهم كانوا فى القديم يلفظون الثاء على حقا ، وهم ينطقون بالجيم نطق السوريين واللبنانيين الا فى قولهم «جهدى» فانهم يلفظونها بجيم قاهرية ، وهم يزيحون الشين بعد النفى كما فى الدارجة المصرية ، ويكسرون حرف المضارعة ، ويجعلون الظرف خيرا مقدما والنكرة مبتدأ مؤخرا ، وأداة التعريف عندهم مكسورة والضمير غير ظاهر ، فانهم يتلفظون به كالواو .

أما كتابتهم فبالحرف اللاتينى ، وقد تم لهم ذلك فى القرن التاسع عشر ، وتذكر بعض المصادر أنهم بقوا يكتبون بحروف عربية كوفية حتى سنة 1173 م ، وقد أدخلوا على الحروف اللاتينية التى يصطنعونها اصطلاحات مخصوصة لتصوير بعض المقاطع ، الا أن هجاءهم يختلف كثيرا عن الهجاء العربى ، فربما ضموا كلمتين فى هجاء واحد وربما قسموا الكلمة الى هجائين تبعا لما يقتضيه اللفظ دون التركيب مما يدل على أن أصل الكلمات قد ضاع عندهم بالمرّة ، ويختلف ترتيب الحروف عندهم عما عليه فى العربية ، فالحرف الثانى عندهم بعد الألف هو العين .

والمالطيون شديدا التمسك بلغتهم القومية التى يطلقون عليها «الطين» ، ولا يسبحون بأهملها ولا يرضون باستبدالها وينص دستورهم على كونها لغة البلاد الرسمية جنبا الى جنب مع الإنكليزية التى ورثوها منذ زمن الاحتلال ، وقد وضعوا لها مؤخرًا قواعد ومعجمات حديثة ، وهم يطبعون بها الكتب والصحف والمجلات وتدون بها الرسائل وتستخدم فى جميع الأغراض التى تستخدم فيها لغات الكتابة ، ومن أوائل الصحف التى أصدرها وتحمل اسماء عربية محض «الصليب» و «النحلة» و «الحمار» . . .

ومن المالطين من ينظم «الشعر» ، ويقال له بلغتهم «التقبيل» ، ومن قول أحدهم :

ين حنيننا ساير نساقر ساير نساقر حدكش ميمى
مور وهيا بالسلامة الله يظيك فى المحبة تيمى

قوله ين بمعنى أنا وحنينا بمعنى حبيب ، منادى محذوف أداة النداء ، ومن قواعدهم أن المنادى إذا كان عظيما أو مهما يدخلون عليه أداة النداء من الإيطالية فيقولون «أو مولاي» وإذا كان عاديا أدخلوا عليه أداة النداء من العربية فيقولون «ياتفاح ؟ ياغنب» . وقوله ساير نساقر هو بمثابة القول فى الدارجة السورية والمصرية «رايح أسافر» والنون فى نساقر علامة المفرد المتكلم لا الجمع فانه «نساقر» ، وهى لهجة أهل المغرب ، وما حرف نفي و «ناجد» بمعنى أخذ والشين فى «ناحدكش» لازمة عندهم بعد النفى والاستفهام كما فى الدارجة المصرية ، «ميمى» أصلها ميمى . و «مور» فعل أمر من «مار» أى ذهب وهو فى اللغة ،

و « هيا » اسم فعل بمعنى اقبل ، و « يظملك » اى يضمك ، وتيمى محرفة من متاع ، واهل المغرب يدخلونها فى الاضافة كثيرا .

وفىما يلى بعض العبارات التى تدل على القربى بين العربية والمالطية ، ففى احدى الصحف المالطية نشر الاعلان الذى نقتطف منه الجمل التالية بعد كتابتها بحروف عربية « فى سترادا رويال نمبر 32 فى بير كركارا انفتحت سكول جديدة تات تفصيل كبار رجال واثاث ، داس كل اللى يريدوا يتعلموا يفصلوا . . » وتحرير المعنى « فى الشارع الملكى رقم 32 فى بيركركارا (اسم مدينة) انفتحت مدرسة جديدة للتفصيل للرجال والاثاث ، فاذا كل الذين . . الخ . » ويقول المالطيون « الساعة ثمانية دكوارتو وانى تسمعو الانفرماسيونى » وترجمتها العربية « الساعة الثامنة ، والان تسمعون الاخبار » ، ويلفظ المالطيون كلمة « انى » اى الان كما يلفظها اهالى الجنوب فى لبنان .

والمقابل فيما آلت اليه اللغة المالطية التى انعزلت عن بقية اخواتها اللهجات العربية ، وكتبت بالحروف اللاتينية يرى اى خطر يهدد اللغة العربية فيما

اذا سائرنا « دعاة التيسير » الذين تارة يدعون الى اقتباس الحروف اللاتينية وتارة اخرى يدعون الى اسقاط الاعراب . . الخ .

ومما قاله احد المستشرقين بهذا الصدد « ان كتبت اللغة العربية بالحروف اللاتينية صارت كاللغة المالطية بعد جيلين » .

من مصادر البحث

انتشار الخط العربى — عبد الفتاح عبادة
تاريخ اللغات السامية — اسرائيل ولفنستون
تاريخ الصحافة العربية — فليب طرزى
الرحلات — محمد الخضر حسين
من حاضر اللغة العربية — سعيد الانغاني
فقه اللغة — على عبد الواحد وافي
فى الادب الحديث — عمر الدسوقي
الواسطة فى احوال مالطة — احمد فارس الشدياق .

